

استراتيجية البناء الحضاري للعالم وأسس التعامل الإنساني في فكر مالك بن نبي

استراتيجية البناء الحضاري للعالم الإسلامي وأسس التعامل الإنساني في فكر مالك بن نبي

أ. عباس ياسين

مقدمة:

تمثل نظرية "مالك بن نبي" في الحضارة، استراتيجية إصلاحية تجديدية تستهدف تغيير الواقع الإنساني عامة وواقع العالم الإسلامي المتخلف بصفة خاصة، بحيث تضع بين يديه آلية فكرية نظرية للخروج من عالم التخلف وبلوغ مستوى الحضارة، فهي مشروع ممنهج وضعه "مالك بن نبي" للقضاء على ظاهرة التخلف والانحطاط بعدما درسها وكشف عن عوامل وأسباب وجودها، وكشف عن قوانينها وآلياتها الروحية والمادية. إذ تميّز هذا المنهج بالقوة والمتانة لارتباطه بالعلم والدين والتاريخ وبقوانين هذه الأطر الفكرية والروحية، باعتبارها مصادر توجيه وقيادة في حياة الإنسان، ولارتباطه بالفكر الإنساني القديم والحديث، وبواقع الإنسان المعاصر في العالم المتقدم وفي العالم المتخلف، وخاصة في العالم الإسلامي الذي لا ينقصه سوى تطبيق المناهج الكفيلة بإخراجه من عالم الانحطاط، وتمكينه من الحضارة، وهو أمر ليس بعسير على إنسان بين يديه كافة شروط التحضر. فهو منهج في الإصلاح يستند إلى رؤية فلسفية إلى الإنسان والحضارة والتاريخ، وإلى فكر اجتمعت فيه الأصالة مع التجديد، فكان مشروع خطة للنهضة وللحضارة، ونموذجاً من نماذج الفكر الإصلاحية لا يستهان به على الطرح والتحليل والنقد والاستنتاج، ولما لهذا المنهج من تكامل بين عناصره، ومن انسجام مع ما تقتضيه مستلزمات البناء التاريخي والنهضة الحضارية .

وبذلك يبقى التغيير دوماً يمثل جوهر التجديد في حياة أية أمة دخلت التاريخ وشرعت في البناء الحضاري، هذا البناء يحتاج إلى قوة ومتانة ليدوم ويستمر، وعامل الحصول على هذه القوة التي تضمن الاستمرار والدوام للحضارة هو تجديد الأفكار وتجديد الأشياء وتطوير سائر المنجزات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، فكلما أخذت الأمة بشروط وب عوامل التجديد كلما حافظت على منجزاتها الحضارية وكلما غابت فيها الفعالية انحدرت وفقدت قوتها واتجهت نحو الانحطاط والتدهور .

أولاً: المضمون المعرفي و التركيبي للحضارة عند مالك بن نبي

تشكل الحضارة في الخطاب المعرفي الذي أنتجه المفكر العالمي المعاصر "مالك بن نبي" انشغالا بحثياً مركزياً، ومطلبا لازماً يتجاوز الواقع المجتمعي الصعب الذي يعيش فيه هذا العالم، فالحضارة "هي جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل فرد من أعضائه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتقدمه"⁽¹⁾. وسقوط حضارة أي مجتمع، هو سقوط للوجود المميز لهذا المجتمع، وتذويب لشخصيته، كما أن أي اجتماع بلا حضارة لها صفة التطور، سيكون اجتماعاً تغلب عليه صفة البدائية، وذلك يتنافى مع تحقق إنسانية الإنسان المكرم، وهذا ما يؤكد مالك بن نبي حيث يقول "إنني أوّمن بالحضارة

استراتيجية البناء الحضاري للعالم واسست التعامل الإنساني في فكر مالك بن نبي على أنها حماية للإنسان لأنها تضع حاجزا بينه وبين الهمجية⁽¹⁾، وسواء تعلق الأمر بالحضارة الإسلامية أو الحضارة المسيحية أو غيرهما، فالحضارة حسب مالك بن نبي لا تنبعث في الأصل إلا بالعقيدة الدينية التي تطبع الإنسان بطابعها الخاص وتوجهه نحو غايات سامية وراقية، وعلى هذا الأساس فإنه عندما يتعلق الأمر بالبحث في حضارة من الحضارات، يتعين التركيز بدرجة أولى على أصلها الديني الذي كان سببا في بعثها، ذلك أن الحضارة ماهي إلا نتاجا "لفكرة حية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر، الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ، فيبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي اختاره، وعلى هذا النحو تتأصل جذوره في محيط ثقافي أصيل، يتحكم بدوره في جميع خصائصه التي تميزه عن الثقافات الأخرى"⁽²⁾. لذلك فالفكرة الدينية عند مالك بن نبي هي أساس كل مشروع تغيير في صياغة الشخصية الحضارية وبناء العلاقات الاجتماعية، فالدين القادر على إحداث التغيير هو الدين السماوي، وإن كان التغيير بواسطته يحدث أحيانا بطريقة مباشرة كما في الحضارة الإسلامية أو الحضارة الغربية وأحيانا بطريقة غير مباشرة "فالفكرة الدينية لا تقوم بدورها الاجتماعي إلا بقدر ما تكون متمسكة بقيمتها الغيبية، أي بقدر ما تكون معبرة عن نظرتنا إلى ما بعد الأشياء الأرضية"⁽³⁾.

إن وظيفة الدين الاجتماعية - حسب مالك بن نبي - رهن ممارسة الانسان، ولذلك نجده يفرق في الدين بين صدق الفكرة الدينية وفاعليتها، فالدين وإن كان صحيحا فإنه يفقد فاعليته الاجتماعية بسبب الإنسان الذي يحمله، كالدين الإسلامي من خلال إنسان ما بعد الموحدين، كما أن الدين وإن كان باطلا فإن فاعليته تظهر بحسب الإنسان الذي يحمله كالفكرة الشيوعية من خلال المؤمنين بها.

كما يؤكد مالك بن نبي من خلال أطروحته المعرفية المتعلقة بالحضارة، أنها بالأساس حركة بناء وليست عملا تكديسيا، فمشكلتها لا تحل في نهاية الأمر باستيراد أشياء الأمم الأخرى أو استعارة فكرها ومنتجاتها، لأن "مشكلة الحضارة تنحل إلى ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، مشكلة الوقت، فلكي نقيم بناء حضارة لا يكون ذلك بأن نكدس المنتوجات، وإنما بأن نحل هذه المشكلات الثلاثة من أساسها"⁽⁴⁾. الإنسان وما يحمله من فكر والتراب وما يكتنزه من طاقات وضروريات الحياة، والوقت واستغلاله للعمل، بهذا الفهم لعناصر الحضارة الثلاثة تحل مشكلة التحضر ذلك أن "مشكلة الحضارة لا تحل باستيراد منتوجات حضارية موجودة لكنها تستوجب حل ثلاث مشكلات جزئية:

- مشكلة الإنسان وتحديد الشروط لانسحابه مع سير التاريخ.
- مشكلة التراب وشروط استغلاله في العملية الاجتماعية.
- مشكلة الوقت وبث معناه في روح المجتمع ونفسية الفرد.⁽⁵⁾

(1) أسعد السحمراني. مالك بن نبي مفكرا اسلاميا. ط2، بيروت: دار النفائس، 1986 50.

(2) . 50.

(3) مالك بن نبي. شروط النهضة. ترجمة، عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، 1986 51.

(4) 45.

(5) : 1986 199.

استراتيجية البناء الحضاري للعالم واسست التعامل الإنساني في فكر مالك بن نبي
فلكي نقوم ببناء حضارة ما يجب "أن نصنع رجالا يمشون في التاريخ مستخدمين التراب والوقت
والمواهب في بناء هدفهم".⁽¹⁾

"فالمصباح كمنتوج حضاري مثلاً يوجد الإنسان خلف العملية العلمية والصناعية التي يعتبر المصباح
ثمرتها، والتراب في عناصره من موصل وعازل، وهو يتدخل بعنصره الأول في نشأة الإنسان العضوية
والوقت (مناط) يبرز في جميع العمليات البيولوجية والتكنولوجية وهو ينتج المصباح بمساعدة العنصرين
الأولين الإنسان والتراب، فالصيغة صادقة بالنسبة لأي ناتج حضاري، وإذا ما درسنا هذه المنتجات حسب
طريقة الجمع المستخدمة في الحساب، فسينتهي حتماً إلى معادلة ثلاثة أعمدة ذات علاقة وظيفية، وهكذا
يمكن القول بأن المصباح هو:

منتوج حضاري = إنسان + تراب + وقت⁽²⁾، وكذلك عن غيره .

كل منتوج حضاري = إنسان + تراب + وقت

وعليه لا تتكون الحضارة إلا إذا اجتمعت العناصر الثلاث الآتية: الإنسان والتراب والوقت بالإضافة إلى
الفكرة الدينية والتي تضمن تفاعل العناصر فيما بينها تفاعلاً حقيقياً.

01- الإنسان: الإنسان هو محور الفاعلية في حركة الحضارة الإنسانية بوصفه عنصراً رئيسياً في عملية
التغيير الاجتماعي من خلال تحديد أبعاد هذا الإنسان الكونية أو البيولوجية وأبعاده الاجتماعية.

ومن هذا المنطلق يرى مالك بن نبي أن الإنسان له قيمتان: الأولى ثابتة وغير متأثرة بالتاريخ، وهي
طبيعته بوصفه مخلوقاً كرمه الله، والثانية قابليته للتغيير والتأثر بالتاريخ والظروف الاجتماعية، وتلك قيمته
بوصفه كائناً اجتماعياً،⁽³⁾ ولقد اهتم مالك بن نبي بالمعادلة الثانية لأنها هي التي تحدد فعالية هذا
الإنسان⁽⁴⁾. بحيث تتغير فعاليته الاجتماعية من مرحلة إلى أخرى ومن طور حضاري إلى آخر، فالإنسان لا
يدخل العمليات الاجتماعية التغييرية بصفته مادة خام بل يدخل في معادلة شخصية صاغها التاريخ.

لذلك فاهتمام مالك بن نبي بالإنسان ينطلق من إيمانه العميق بالدور الذي يقوم به في صنع الحضارة،
فهو الجهاز الاجتماعي الأول في أي حركة تغييرية، إذ يرى أنه "إذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ
وإذا سكن سكن المجتمع"⁽⁵⁾. والإنسان في منظور مالك بن نبي هو منبع وأساس المشكلة الحضارية كلها، وأي
تفكير في مشكلته هو بالأساس تفكير في مشكلة الحضارة⁽⁶⁾.

société 7-Malek bennabi. les conditions de la renaissance(problème d'une civilisation)Tipaza
p32. 1992 d'édition et de communication

(1) مالك بن نبي. شروط النهضة. مرجع سابق، ص45.

(2) . . . 131.

(3) . . . 131.

(4) نورة خالد السعد. "الإنسان في معادلة مالك بن نبي" السعودية: مجلة الفيصل، العدد196، (أفريل1993) 21.

(5) مالك بن نبي. حديث في البناء الجديد. ترجمة، عمر كامل مسقاوي، بيروت: مشورات المكتبة العصرية، 1960 50.

(6) . . . 4، ترجمة، عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، 1984 100.

استراتيجية البناء الحضاري للعالم واسس التعامل الإنساني في فكر مالك بن نبي
فالمشاكل التي تحيط بالإنسان تختلف باختلاف البيئة التي يعيش فيها، فالإنسانية لا تعاني مشكلة واحدة، بل مشاكل متنوعة تبعا لتنوع مراحل التاريخ، فلا يمكن لنا أن نقارن في الوقت الحاضر بين رجل أوربا المستعمر ورجل العالم الإسلامي القابل للاستعمار، لأن كليهما في طور تاريخي خاص به⁽¹⁾.

ففي بلجيكا مثلا حسب مالك بين نبي نجد أن الرجل ليس له توازن اقتصادي في حياته، فهذا الاضطراب نتج عن عدم الملائمة بين حاجاته وتيار الإنتاج الصناعي السريع، ومن هنا تنشأ مشكلة اجتماعية يعانيها شعب بلجيكا وهي مشكلة "حركة"، بينما على العكس فالبلاد الإسلامية أزمتها ليست في "الحركة" إنما في "الركود"، إنها مشكلة الفرد المنتمي لهذا المجتمع الذي عزف عن الحركة والسير في ركب التاريخ "فالأمر في الحالة الأولى يتعلق بحاجات غير مشبعة وحركية مضطربة، في حين يتعلق في الحالة الثانية بعادات راکدة وضعت الفرد في حالة توازن خامد وعدم حركية تامة"⁽²⁾.

وعليه فالأمر يتعلق بمشكلتين مختلفتين في أساسهما، فهناك البلجيكيون هم في حاجة إلى مؤسسات بينما المجتمع الاسلامي هو في حاجة إلى أفراد حركيين فعالين قادرين على التغيير في بناء أهدافهم الكبرى، مستخدمين التراب والوقت

إن أزمة الإنسان السلم تتمثل في الركود والعزوف عن الحركة والابتعاد عن السير في ركب التاريخ، فنشأت بذلك في المجتمع الإسلامي عادات راکدة وضعت الفرد في حالة توازن خامد وخمول تام، في الوقت الذي خطت فيه الحضارة خطوات عملاقة، فنحن في حاجة إلى رجال يحملون القيم الرفيعة، إذ أنه من الإنسان تتبع المشكلة الإسلامية بأكملها، ذلك أن النمو حضارة والتخلف انحطاط، فالعالم الإسلامي لا يستطيع الوصول إلى أهدافه الحضارية " إذا لم يتغير الإنسان بطريقة لا رجعة فيها من حيث سلوكه وأفكاره وكلماته وفقا للسنن الإلهية " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ".⁽³⁾

ومن ثمة فإن هذا المحور يعتبر من أهم المحاور على الإطلاق في فكر مالك بن نبي، لأنه يجعل تغيير الإنسان هو أساس كل تغيير، وبذلك يوضح مالك بن نبي في هذا الصدد على وجود صنفان من الناس في مجتمع مستعمر كالمجتمع الجزائري (إبان فترة الاستعمار الفرنسي) :

ويعتقد مالك بن نبي أن الإنسان يؤثر في المجتمع بثلاثة مؤثرات هي:⁽¹⁶⁾

أ- بفكره ب- بعمله ج- بماله.

وعليه فإن مالك بن نبي يؤكد على دور الإنسان في المجتمع فهو خليفة الله في أرضه، وهذه الوظيفة توجب إجراء عملية تغيير نفسي و اجتماعي من أجل بناء الحضارة، ولذا فإنه ينظر إلى الإنسان بحسب موقعه في الحضارة كمايلي:

(1) مالك بن نبي. شروط النهضة. مرجع سابق، ص75.

1991 14-Malek bennabi. vocation de l'islam. Tipaza société d'édition et de communication p32.

(2) . ميلاد مجتمع؛ شبكة العلاقات الاجتماعية. ترجمة، عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، 1985 73.

(3) . بين الرشاد والتهيه. ط1 : 1978 46.

استراتيجية البناء الحضاري للعالم واسست التعامل الإنساني في فلك مالك به نبي

1- إنسان ما قبل الحضارة: إنسان هذه المرحلة كما يرى مالك بن نبي يكون على حالته الفطرية (الطبيعية)، فهو الأساس النفسي لبداية عملية التغيير الاجتماعي لكونه مستعدا لتحقيق ذاته اجتماعيا ومن ثم يدخل الحضارة إلى مجالها الإنساني.

2- إنسان الحضارة: بعد دخول الدين إلى المجتمع فإن إنسان الفطرة تحول بفعل شرارة الدين إلى شخص يرتبط بعالم الأشخاص من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية التي تعتبر أول عمل يؤديه المجتمع لحظة ميلاده، فالتغيير النفسي هو الأساس في كل تغيير اجتماعي، فكل ما يغير النفس يغير المجتمع "إن أعظم التغييرات وأعماها في النفس قد وقعت في مراحل التاريخ مع ازدهار الفكرة الدينية"⁽¹⁾. فإنسان الحضارة هو الإنسان الذي يستطيع إيجاد التوازن بين عوالمه الثلاثة الأفكار والأشخاص والأشياء، إذ أن وجود إنسان الحضارة يمتد إلى مرحلة العقل، ولكن تتغير صفاته النفسية وبالتالي تأثيره الاجتماعي.

3- إنسان ما بعد الحضارة: يطلق مالك بن نبي على إنسان ما بعد الحضارة صفة (إنسان ما بعد الموحدين) بالنسبة لدورة الحضارة الإسلامية⁽²⁾. فإنسان ما بعد الحضارة يحتوي على رواسب من مرحلة الانحطاط تجعله مصدرا للصعوبات في الطريق إلى النهضة بالعكس من ذلك الذي لم يدخل بعد الحضارة⁽³⁾. فهو إنسان فاقد لطافته المذخورة التي تؤهله لأي تغيير، فهو (إنسان مسلوب الحضارة) لم يعد قابلا لإنجاز أي عمل حضاري إلا إذا تغير هو نفسه من جذوره الأساسية⁽⁴⁾. فهذا الإنسان لم يفقد عقيدته بل بالعكس بقي مسلما ولكنه فقد التأثير الاجتماعي لعقيدته، لذهاب الفاعلية الروحية لديه .

02- التراب: يعد التراب أحد العناصر الثلاثة التي تكون الحضارة -ليس من حيث خصائصه وطبيعته - وإنما من خلال قيمته الاجتماعية المستمدة أساسا من قيمة مالكية، فالتراب في بلاد الإسلام جديرا ببحثه كعامل من عوامل الحضارة " فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة وحضارتها متقدمة يكون التراب غالي القيمة، وحيث تكون الأمة متخلفة يكون التراب على قدرها من الانحطاط " ⁽⁵⁾.

فالتراب في بلاد الإسلام عموما عديم القيمة وهو على شيء من الانحطاط، بسبب تأخر الأفراد الذين يعيشون عليه، ويستمد مالك بن نبي مثلا على ذلك كالجائر "حيث أن الارض الخضراء التي كانت تتوفر عليها الكثير من مدنه (كمدينة تبسة) أصبحت مهددة بالزوال بفعل عدم إدراك الإنسان الجزائري لخطورة وعواقب زحف الرمال الصحراوية عليها " ⁽⁶⁾.

وبذلك يعتبر التراب عنصرا تغييريا وفق معادلة الحضارة، وذلك عندما يتحول من الحالة الخام إلى الحالة الديناميكية المصنعة.

(1) مالك بن نبي. شروط النهضة. مرجع سابق، ص77.

(2) . ميلاد مجتمع؛ شبكة العلاقات الاجتماعية. ترجمة، عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، 1985 73

(3) . التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي. ط1، السعودية: الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1997 117

(4) 25

(5) مالك بن نبي. شروط النهضة. مرجع سابق، ص71

(6) 131

استراتيجية البناء الحضاري للعالم واسس التعامل الإنساني في فكر مالك بن نبي

03- الوقت: يتحدد عنصر الوقت عند مالك بن نبي من خلال " مفهومه الوظيفي " temps travail الذي يقسم الأعمال التي أنجزت في ظل فترات زمنية معينة " (1). فالزمن عند مالك بن نبي بمعنى التأثير والانتاج، أي بالقيمة الاجتماعية للزمن عندما يتحول إلى ساعات عمل ويسهم في تكوين المعاني والأشياء والنشاط، فهو العملة الوحيدة المطلقة التي لا تبطل ولا تسترد إذا ضاعت، وهو يرى " أن العملة الذهبية يمكن أن تضيع وأن يجدها المرء بعد ضياعها، ولكن لا تستطيع أي قوة في العالم أن تحطم دقيقة، ولا أن تستعيدوها إذا مضت " (2). "فنحن في العالم الإسلامي نعرف شيء يسمى " الوقت "، ولكنه الوقت الذي ينتهي إلى العدم، لأننا لا ندرك معناه ولا تجزئته الفنية، لأننا لا ندرك قيمة أجزائه من ساعة ودقيقة وثانية ولسنا نعرف إلى الآن فكرة " الزمن " الذي يتصل اتصالاً وثيقاً بالتاريخ " (3). فالزمن هو معنى الحياة الداخل في تكوين الفكرة والنشاط، وفي تكوين المعاني والأشياء.

"الحياة والتاريخ الخاضعان للتوقيت كان وما يزال يفوتنا قطارهما، فنحن في حاجة ملحة إلى توقيت دقيق وخطوات واسعة لكي نعوض تأخرنا" (4). الحضاري.

لذا يجب على الإنسان المسلم أن يعطي قيمة أكثر للزمن، ويعرف أن التحديات واقعة وأنه إذا لم يعمل بأسرع ما يمكن ولم يفرض نفسه بفعالية فإن الحضارات الأخرى ستجتازه، ولا شك أن الصراع بين الحضارات هو الصراع من أجل البقاء، لا من أجل التعايش، وبهذه الوضعية المأساوية يجب أن نعمل بفعالية دون أن نبدد جهودنا أو نضيع وقتنا.

وعليه بهذا الفهم للحضارة القائمة على الإنسان والتراب والوقت، لابد من التأكيد على أن السمة العامة لهذه الحضارة تتبع من الدين الذي يضع في الأولوية كرامة الإنسان وحقه في العيش الكريم، وما ذلك إلى تعبيراً واقعي عن روح القرآن، فعناصر الحضارة من إنسان وتراب ووقت لن تجدي نفعا إن لم يكن الجامع المشترك لهم الدين، وهذا مبدأ عام وأساسي، وفقدانه يفقد العناصر الثلاثة فعاليتها الحضارية، ومن ثمة فالدين هو المسؤول الأول على كافة التغيرات الاجتماعية التحويلية الهامة في الإنسان والتراب والوقت وما يتبعها من معطيات نفسية واجتماعية تحقق الغاية النهائية لحركة المجتمع حيث يتحقق في النهاية في شكل حضارة.

ثانياً: التجديد الحضاري والتعامل الإنساني عند مالك بن نبي:

يعتبر التجديد الحضاري ظاهرة إنسانية تتكون عندما يشرع الإنسان في تغيير ما بداخل نفسه ليغير ما في خارجها بعد ذلك، بحيث تتغير أفكاره وأخلاقه ومشاعره وعاداته وآماله وغاياته، فهي تتشأ عن تحول في حياة الإنسان النفسية ثم الاجتماعية بعد ذلك، وهي تقوم أساساً على تغيير تصورات ومفاهيم الإنسان ونظرته

(1)

Malek bennabi. les conditions de la renaissance (problème d'une civilisation) op cit pp64-66.

(2) محمد سعيد مولاي. " الية الحضارة عند مالك بن نبي". الجزائر: المعهد العالي لاصول الدين، مجلة الموافقات، العدد 3

() 1994 301

(3) مالك بن نبي. شروط النهضة. مرجع سابق، ص 40

(4) 140

استراتيجية البناء الحضاري للعالم واسس التعامل الإنساني في فكر مالك بن نبي إلى ذاته وإلى محيطه، كما يتصور المعنى من وجوده والرسالة الملقاة على عاتقه، وفي هذا الإطار يتصور المبادئ التي يتقيد بها والغايات التي يصبو إليها والوسائل والسبل التي تمكنه من ذلك في كل نشاط يقوم به، لذلك يمثل التجديد الحضاري في ارتباطه بإنسان المجتمع والتاريخ، قوة فعالة أساسها التغيير، تقوم هذه القوة بدفع الإنسان إلى الحركة داخل التاريخ ليبني الحضارة التي أساسها التعامل الانساني، فينتقل الإنسان على أثر الدفعة الصادرة عن القوة، من مرحلة ما قبل الحضارة إلى مرحلة الحضارة، وهذا مبدأ ينسجم مع السنن الكونية، إذ لا يمكن لمجتمع أن يتغير نحو الاستواء ونحو الأفضل ما لم يتغير أفراد، ولا يتغير أفراد ما لم يبدأ هذا التغيير في نفس كل فرد الذي هو جزء من المجتمع، والمجتمع ليس هو مجرد حاصل جمع أفراد بل هو نظام وشبكة من العلاقات التي تتجلى في نسق اجتماعي، قوانينه متماسكة في وحدة عضوية لا تقبل التفكك والانقسام، وتفككها يعني تفكك شبكة العلاقات الاجتماعية وبالتالي تفكك المجتمع.

ومن ثمة جاءت فكرة التجديد والإصلاح عند مالك بن نبي نتيجة لواقع المسلمين المتردي، ولتعبيره عن مشاكلهم وهمومهم، وعن تخلفهم وانحطاطهم، وعن آمالهم وتطلعاتهم للدخول بالإنسان المسلم إلى التاريخ، واحتلال أمة الإسلام لمكانتها اللاتقة بها في إطار الحوار والتواصل الحضاري.

لذلك فإن الإصلاح والتجديد عند مالك بن نبي استهدف القضاء على الجهل والجوع والمرض والاستعمار والقبالية للاستعمار، وغيرها من ظواهر التخلف، التي يعاني منها العالم الإسلامي المعاصر، ويستهدف وضع نظرية في الحضارة والتاريخ تضع حداً للتخلف، وتفتح الآفاق والمجال واسعا لبناء الحضارة وفق أسس التعامل الانساني لتزدهر وتستمر، فهذه الاستراتيجية قامت على إصلاح مختلف الأوضاع، وتجديد الأفكار والأشياء وكان ذلك وفق خطة عناصرها ومراحلها ومبادئها وغاياتها متكاملة، وإصلاح النفوس والعقيدة والتربية والتعليم في العالم الإسلامي الحديث هو هدف الحركة الإصلاحية، وكل ذلك يدخل ضمن خطة تجديدية تحارب المفسد وتطلب الجديد وتسعى إلى إعادة الأمة إلى مكانتها في التاريخ وفي رحاب الحضارة والمدنية.

وعليه يتضح مما سبق أن التجديد الحضاري هو استراتيجية لصناعة الحضارة، والحضارات التي شهدتها تاريخ الإنسانية هي تجسيد لهذه الاستراتيجية وتنفيذ لهذه الخطة المرسومة فيها، والتي تحدد المبادئ والغايات والوسائل انطلاقاً من حركة تغيير مضبوطة وذات فعالية تسمح للإرادة الحضارية بالإقلاع في عملية البناء والتجديد الحضاري والتعامل الانساني، وتحطيم كل ما يعيق التحضر ويمنع النهضة، ففي مرحلة ما قبل الحضارة يقوم التجديد الحضاري بعملية تجمع فيها سائر الشروط والعوامل النفسية والاجتماعية للانطلاق وبعد الانطلاق يواصل التجديد سيره لضمان أهداف وغايات حضارية تاريخية.

ثالثاً: نظرية الدورة الحضارية للعالم الاسلامي عند مالك بن نبي

يرى مالك بن نبي أن قانون التغيير الاجتماعي هو القانون الدوري للحضارة وينطلق في شرح هذا القانون من حقيقة جوهريّة في التاريخ البشري هي "دورة الحضارة"، فكل دورة محددة بشروط نفسية زمنية خاصة بمجتمع معين... ووفق هذا القانون فإن الحضارة تهاجر وتنتقل إلى بقعة أخرى تبحث عن شروطها،

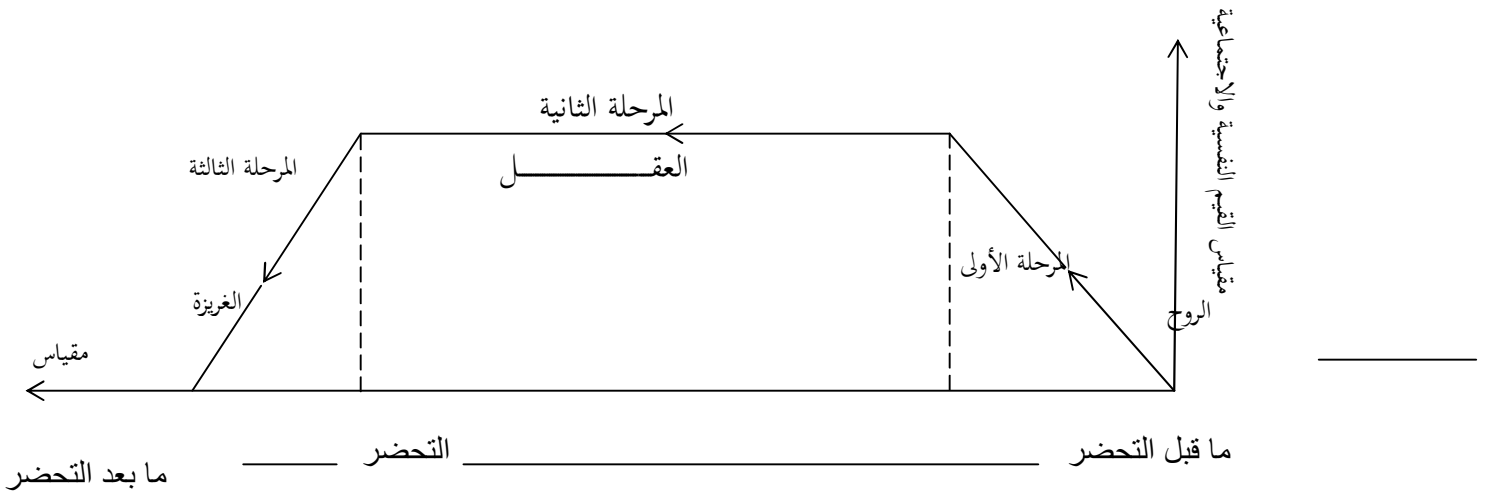
استراتيجية البناء الحضاري للعالم واسس التعامل الإنساني في فكر مالك بن نبي وهكذا تستمر الهجرة وتستحيل خلالها إلى شيء آخر، بحيث تعد كل استحالة (تحول) تركيبا خاصا للإنسان والتراب والوقت ⁽¹⁾. حيث تأتي أهمية هذه النظرة كونها "تتيح الوقوف على عوامل التقهقر والانحطاط، أي على قوى الجمود داخل الحضارة إلى جانب شرائط النمو، فهي تتيح لنا أن نجمع كلا لا تتجزأ مراحل" ⁽²⁾.

وبذلك ينتقد مالك بن نبي من ينظر إلى ظاهرة الحضارة منفصلة عن ظاهرة "الانحطاط" ويؤكد أن معرفتنا بالأسباب البعيدة للانحطاط هو المعيار الأساسي لمن يريد تعديل مساره والسعي نحو التحضر والخروج من بوتقة الانحطاط، وهو بهذا يوضح أنه في كل دورة حضارية، هناك نقطة انحراف تمر بها المجتمعات، ولقد عرف العالم الاسلامي أول انفصال في تاريخه في معركة صفين عام 38هـ والتي كانت السبب الرئيسي لكل ما تلا ذلك من تقهقر وانحطاط. وحسب مالك بن نبي أنه منذ تلك اللحظة الفاصلة بدأ الصراع بين "الروح القرآنية" وبين "حمية الجاهلين" فحطم ذلك البناء الذي قام لكي يعيش ربما إلى الأبد بفضل ما احتواه من توازن بين عنصر الزمن وعنصر الروح.

وهكذا نجد أن مالك بن نبي حدد "دورة الحضارة" بالأسلوب الذي عبر عنه ابن خلدون من قبل، والذي يقع على مقياس الزمن بين حدين اثنين، هما نقطة "الميلاد" (م) التي تبدأ منها الحضارة في الظهور، ونقطة "النهاية" (ن) التي عندها تنتهي الحضارة إلى الأفول ⁽³⁾.

فالرسم البياني الذي يمثل القيم النفسية والاجتماعية هو صورة لتغيرات هذه القيم عبر المراحل الحضارية المتنوعة، فيبدأ بالنقطة الأولى (م) (الميلاد) في خط صاعد دال على النمو الحضاري ليصل إلى النقطة النهائية (ن) (الأفول) دال على السقوط الحضاري، ويوجد بالضرورة بين "النهضة" و "السقوط" اكتمال معين، هو طور انتشار الحضارة و توسعها (الاج)، مثلما يوضحه الرسم البياني الآتي: ⁽⁴⁾.

شكل رقم (01) يوضح دورة الحضارة عند مالك بن نبي



(1) 140

(2)

Malek bennabi. les conditions de la renaissance (problème d'une civilisation) op cit pp69-70.

(3) مالك بن نبي. شروط النهضة. مرجع سابق، ص142.

(4) نورة خالد السعد. التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص126.

هذه المراحل الثلاث الميلاد، الأوج، الأفول تتفق مع مراحل الروح و العقل والغريزة. وبذلك قام مالك بن نبي بتطبيق هذا الرسم البياني على حركة التاريخ الاسلامي، وذلك للوقوف على اتجاه الحركة الاسلامية في صعودها ونزولها، بناءً على مرجعيته الفكرية الاسلامية واطلاعه الواسع على روافد الفكر العالمي وعلى تجارب الحياة وتواريخ المجتمعات (السابقة والحاضرة)، في محاولة منه للمساهمة في تقديم منهجية معرفية لبناء فكر استراتيجي للتجديد الحضاري وتحقيق النمو الحضاري بأسس التعامل الانساني، وبخاصة في مجتمعات العالم الاسلامي الذي يعيش اليوم حالة من التخلف والانحطاط على مستوى أصعدة كثيرة من الحياة المجتمعية "sociétal" على الرغم من امتلاكها وتوفرها على العوامل المادية والمعنوية التي تجعلها تتجاوز هذه المرحلة التي تعيشها وبذلك فهي خرجت من الوظيفة والغائية التاريخية، بعدما كانت في السابق أمة إسلامية رائدة وفاعلة في التاريخ الانساني العالمي، بفضل قواها الابداعية في مجالات الحياة المتنوعة كما هي الحال في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عهود الأجيال اللاحقة له.

إذن فما هو رأي مالك بن نبي في الحضارة ابتداء من ميلادها إلى افولها(مراحلها) وماذا يمكن استنتاجه حتى يتمكن المجتمع الاسلامي من تجديد حضارته و النهوض بها ؟

1- مرحلة الروح: تعتبر مرحلة الروح هي الطور الأول من أطوار الحضارة والتي تلي مباشرة مرحلة ما قبل الحضارة وهي تتميز باندفاع روعي ترجع إليه كل التطورات الحاصلة في المجتمع سواء كانت تقهقر وانحطاط أو تقدم ونمو "فالروح وحدها هي التي تتيح للإنسانية أن تنهض وتتقدم فحيثما فقدت الروح سقطت الحضارة وانحطت، لأن من يفقد القدرة على الصعود لا يملك إلا أن يهوى بتأثير جاذبية الأرض" (1).

ففي هذه المرحلة يبدأ الفرد بالتححر جزئياً من قانون الطبيعة المفطور في جسده، ويخضع وجوده إلى المقتضيات الروحية التي طبعها الفكرة الدينية في نفسه، بحيث يمارس حياته وبناء علاقاته مع الآخرين، من خلال عوالم الأشياء والأفكار حسب قانون الروح

فكلمة "الروح" حسب مالك بن نبي تعني الالتزام بالمبدأ الذي يظهر عليه - بالنسبة للمسلمين مثلاً - على المستوى التعبدى الشخصي في صورة رابطة (مسلم - الله) وعلى المستوى التعبدى الجمعي في صورة رابطة (مسلم - مسلم) والتي على الرغم من تعقدها (حكام مقابل محكومين، أغنياء مقابل فقراء ... الخ) إلا أن حدودها بارز من خلال نصوص الوحي (المبدأ) (2).

ففي هذه المرحلة نجد أن التغيير يبدأ بالإنسان فهو العنصر الجوهرى الذي يتغير بالدين، وهو بدوره يقوم بتغيير المحيط الاجتماعى الذي يعيش فيه، وبذلك يتحول من "فرد" يخضع لغرائزه إلى شخص يرتبط بالمجتمع، فينطلق بذلك بمعية الأفراد الآخرين بالقيام بأول فعل تاريخي وهو تكوين شبكة العلاقات

(1) . وجهة العالم الاسلامي ط1، ترجمة، عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، 1986 28

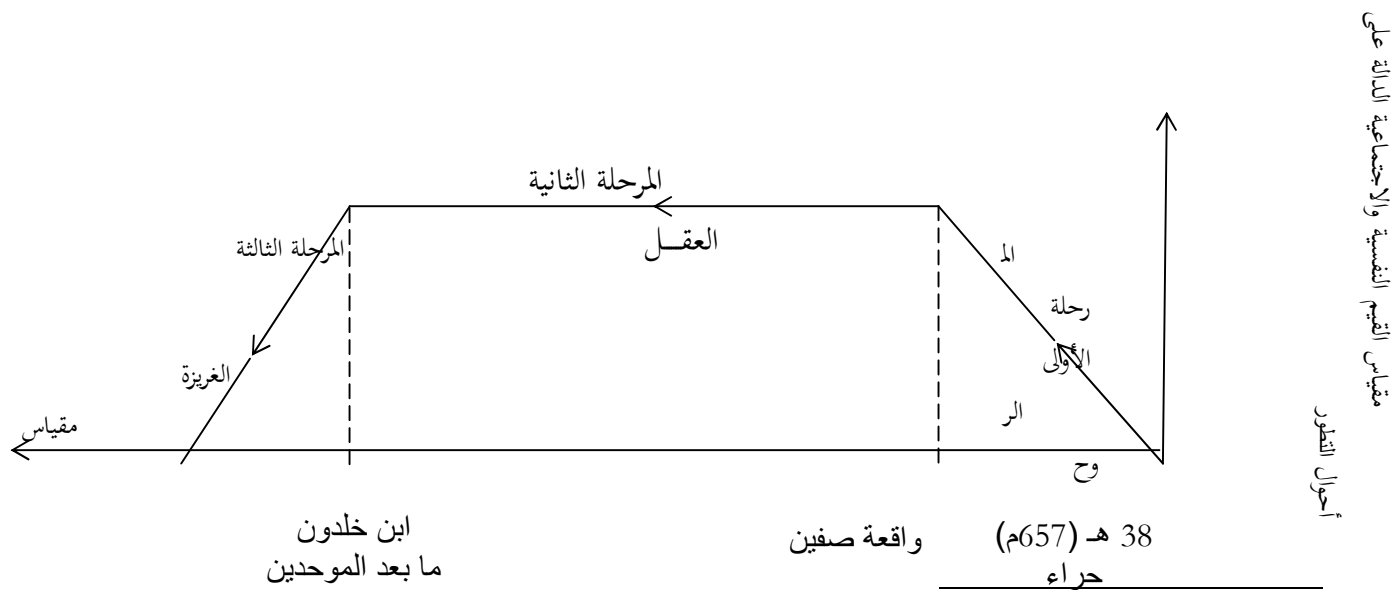
(2) . دور المسلم ورسالته في الثلث الاخير من القرن العشرين . : 1991 27-26

استراتيجية البناء الحضاري للعالم واسست التعامل الإنساني في فكر مالك بن نبي الاجتماعية اللازمة لأداء العمل الاجتماعي المشترك بعد أن حولته الشرارة الدينية إلى عنصر فعال متحرك يشكل مع التراب والوقت عوامل التغيير الاجتماعي.

وهكذا يغدو الدور الاجتماعي للدين المبدأ في هذه المرحلة (مرحلة الروح)، فيقوم بتركيب يهدف إلى تشكيل قيم؛ تمر في الحالة الطبيعية إلى وضع نفسي زمني، ينطبق على مرحلة معينة لحضارة ما. فالحضارة الإسلامية -حسب مالك بن نبي- قد عرفت بداية تشكلها وفعاليتها في مرحلتها الأولى (مرحلة الروح) التي بدأت من غار حراء بنزول الوحي، وبذلك بدأت عملية التغيير الاجتماعي والنفسي للمجتمع الإسلامي الذي بلغ أوج ازدهاره بفضل الدفعة الروحية الخارقة التي مثلها الإسلام، وضلت روح الإنسان للمؤمن خلالها هي العامل النفسي الأساسي من ليلة حراء إلى أن وصلت إلى القمة الروحية للحضارة الإسلامية التي توافقت واقعة صفين، التي اعتبرها مالك بن نبي نقطة الانحراف التي غيرت مجرى التاريخ الإسلامي، إذ أخرجت الحضارة الإسلامية من طور يسوده الالتزام بالمبدأ إلى طور يسوده العقل وتزيينه العظيمة.

فالأوضاع الإسلامية - لاسيما في زمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أساسا والخلافة الراشدة - يفتح أحضانه بتعجيل حضاري في فعالية الإنسان المسلم مع ذاته والحياة والقيم، بقدر من التغيير "يتجاوز التغيرات" الحضارية المعهودة من قبل على نحو من الاستغراب أحيانا، في نطاق السنن التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الكون، وذلك في حد ذاته يمثل تغييرا واضحا على أن مرحلة التألف والإشعاع قد انتهت، لتبدأ مرحلة جديدة لها سلمها النفسي والاجتماعي الخاص، الذي يختلف نوعيا على السلم النفسي والاجتماعي للمرحلة السابقة إنها مرحلة العقل⁽³³⁾، كما هو موضح في الشكل رقم (02):⁽¹⁾.

شكل رقم (02) يوضح دورة الحضارة الإسلامية عند "مالك بن نبي"



(1)

Malek bennabi. le problème des idées dans le monde musulman. Alger :éditions al-bay yiete 1990 p31.

2- مرحلة العقل: تعد مرحلة العقل الطور الثاني من أطوار الحضارة، فهي تمثل بالنسبة " لمالك بن نبي " مرحلة تحلل بطيء وجزئي للمجتمع، ونقص في الفعالية ناجم عن انكماش في تأثير المبدأ/الروح في حياة المجتمع بصفة عامة، ونمو في العقل مما يؤدي ذلك -بصفة آلية- إلى توقفه عن "الصعود الحضاري" (1). فكلما العقل مرادفة للاجتهادات الشخصية المتحررة من سلطة الروح (المبدأ الديني)، حيث تبدأ في هذه المرحلة بروز الأنانية والمصالح الشخصية للأفراد، مما يؤدي بذلك إلى تمزق شبكة العلاقات الاجتماعية الكبيرة؛ وبالتالي تأثر البناء النفسي للفرد والبناء الأخلاقي للمجتمع ككل، ويرى مالك بن نبي أنه لو استطعنا في هذه المرحلة أن نراقب الظروف النفسية بوسيلة دقيقة بغية تتبع نتائج هذه العلاقة الطردية بين ضعف سلطة الروح وتحرر الغرائز، فإنه سوف يلاحظ انخفاض في مستوى أخلاق المجتمع ونقصا في الفعالية الاجتماعية للفكرة الدينية، وتستمر الفكرة الدينية في مواصلة نقصان فعاليتها منذ أن دخلت الحضارة منعطف العقل، ففي هذه المرحلة يبدأ المجتمع بالانتشار والتوسع، وبذلك تزدهر العلوم والفنون وتكتمل شبكة العلاقات الاجتماعية، مما يقضي على الفراغ الاجتماعي، ومن ثم تقديم كل الضمانات الاجتماعية للفرد، ويصل إلى الحضارة، ويتحصلون نتيجة لذلك على كل الشروط الضرورية لممارسة عملهم ونشاطهم الاجتماعي.

ويؤكد مالك بن نبي أن أثر الفكرة الدينية عند دخول الحضارة منعطف العقل يستمر في مواصلة نقصانه، مما يؤدي إلى تأثر البناء النفسي للفرد والمجتمع، وتستعيد الغرائز غلبتها عليها شيئا فشيئا، وعندما يبلغ التحرر اكتماله تبدأ مرحلة الغريزة، وهي المرحلة التالية في القانون الدوري (2). للحضارة.

3- مرحلة الغريزة: تتصف هذه المرحلة بالانهيار والانحطاط، ويخرج المجتمع فيها من طوره الحضاري "وهنا تنتهي الوظيفة الاجتماعية للفكرة الدينية التي تصبح عاجزة عن القيام بمهمتها تماما في مجتمع منحل يكون قد دخل نهائيا في ليل التاريخ، وبذلك تتم دورة في الحضارة (3)، فالنزعة العقلية مهدت لهذا الانحطاط عندما أسهمت في إضعاف مبدأ الروح على النفس الإنسانية، وتمكنت الغريزة التي كانت مكبوحة الجراح من قبل الفكرة الدينية من مواصلة سعيها إلى التحرر واستعادة الطبيعة الغرائزية، فلم يعد بعد ذلك "الإنسان والتراب والوقت عوامل حضارة، بل أصبحت عوامل خادمة ليس لها فيما بينها صلة مبدعة" (4).

يطابق مالك بن نبي بين مرحلة الغريزة في الحضارة الإسلامية، والمرحلة التي مر بها المجتمع الإسلامي بعد سقوط دولة الموحدين، فنجد يقول عن هذه المرحلة " أن المجتمع كان غنيا بما فيه من أشخاص وأفكار وأشياء ولكن نهاية هذا العهد عرفت تمزقا في شبكة العلاقات الاجتماعية، ولم يعد المجتمع الإسلامي بعدها مجتمعا، بل تجمعات لا قوة لها ولا هدف، وبفقدان هذه الشبكة من العلاقات الاجتماعية

(1) مالك بن نبي. وجهة العالم الاسلامي. 26.

(2) ميلاد مجتمع؛ شبكة العلاقات الاجتماعية. ط3 56

(3) مالك بن نبي. شروط النهضة. مرجع سابق، ص 67

(4) موسى لحرش. استراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الاسلامي في فكر مالك بن نبي. مخبر التربية،

الانحراف والجريمة ف 2006 155

استراتيجية البناء الحضاري للعالم واسس التعامل الإنساني في فكر مالك بن نبي والمبررات التي رفعت من شأن المسلمين في العهد الأول من الرسالة، يأتي التفكير في الرجوع إلى السلف بغية استرجاع المبررات وخلق توتر جديد في النشاط الإسلامي.⁽¹⁾

فالعلاقة الفاسدة في (عالم الأشخاص) لها نتائجها السريعة في (عالم الأفكار) وفي (عالم الأشياء)، والسقوط الاجتماعي الذي يصيب (عالم الأشخاص) يمتد لا محالة إلى الأفكار وإلى الأشياء، في صورة افتقار وفاقية، فهناك أفكار رأت النور في المجتمع الإسلامي في القرن الرابع عشر الميلادي، كفكرة الدورة الدموية، ومع ذلك ضلت غائبة عن (عالم الأفكار) لأن شبكة علاقاته كانت قد تمزقت ... تلك هي أمانة (الافتقار) في (عالم الأشياء) في المجتمع الإسلامي إبان تلك الحقبة⁽²⁾.

وهكذا يفقد العلم معناه وتصير الحضارة إلى الأفول (النهاية) منهية بهذه المرحلة دورتها التاريخية الكاملة، في انتظار قوة دافعة تجدها مرة أخرى، ذلك هو منحى السقوط للإنسان المسلم، فقد بعث الدين الإسلامي فيه روحا محركا للحضارة، فلم يلبث بعد مرحلة عاش فيها كل أنواع الخلافات والحروب، حتى عاد إلى ما هو عليه الآن إنسانا سابقا للحضارة.

ومما لا شك فيه أن المجتمع الإسلامي قد خرج من هذه الدورة الحضارية (مرحلة الغريزة) على مستوى جوانب عديدة من التخلف والانحطاط والتدهور في الحياة المجتمعية، وهو ما يتطلب البحث في الخلل والضعف الكامن وراء ذلك ضمن رؤيا استراتيجية تتشد التجديد الحضاري من خلال إعادة تجديد روعي داخلي يشمل عناصرها المادية والمعنوية (إنسان + تراب + وقت = حضارة)، واعتماد منهج فعال للفهم والتخطيط والإنجاز والمناعة، أي منهج للأفكار الفاعلة في التاريخ الإنساني.

رابعا: استراتيجية التوجيه والتغيير الاجتماعي للعالم الإسلامي عند مالك بن نبي:

تستهدف العملية التغييرية عند مالك بن نبي بلوغ المجتمعات مرحلة الحضارة، إذ أن مشكلة كل شعب هي مشكلة حضارة، وبالتالي لا بد من الوعي بشروط بناء هذه الحضارة وكيفية تركيبها، وبذلك اهتم مالك بن نبي بمحاولة معرفة أسباب خروج المجتمعات الإسلامية من دورة الحضارة، وحاول أن يطرح تصورا لكيفية إعادة الإنسان المسلم إلى دوره التاريخي المتمثل في تجديد الحضارة، فهو يرى أنه من الإنسان تتبع المشكلة الإسلامية بأكملها، لذا علينا أن نضع رجالا يمشون في التاريخ مستخدمين التراب والزمن وكذلك المواهب في بناء أهدافهم الكبرى.

وفي هذا الصدد يرى بأن الإنسان - في الوقت الحالي - يؤثر في المجتمع بثلاثة مؤثرات: بفكره، بعمله وبماله، وحاصل البحث هنا القول، بأن قضية الإنسان في المجتمع الذي يعاني أزمة حركة ونمو على مستوى مختلف الخطوط التنموية (الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، التربوية ...) منوطة بتوجيهه في نواح ثلاثة: توجيه الثقافة، توجيه العمل، توجيه رأس المال.

(1) مالك بن نبي. شروط النهضة. مرجع سابق، ص 66

(2) 77-76.

استراتيجية البناء الحضاري للعالم واسست التعامل الإنساني في فكر مالك بن نبي ويعتقد مالك بن نبي أن التكامل في التوجيه والتغيير هو الذي يؤدي إلى الحضارة، ويخرج المجتمع من عالم التخلف والانحطاط إلى عالم التقدم والازدهار.

01- توجيه الثقافة: طرح مالك بن نبي فكرة "توجيه" الحضارة وذلك لتحقيق الفعالية النهضوية المنشودة، لذا ينبغي الإشارة في هذا الصدد إلى أن المقصود بـ "التوجيه" عند مالك بن نبي هو "قوة في الأساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف" ⁽¹⁾، إنه وبمعنى آخر عملية منهجية ضرورية "لتجنب الإسراف في الجهد وفي الوقت" ⁽²⁾.

إن توجيه الأشياء الإنسانية يتطلب أولاً تعريفها، والثقافة من هذه الأشياء التي تتطلب بالحاح تعريفاً، بل تعريفين: الأول: يحددها في إطار الحالة الراهنة.

الثاني: يحددها في إطار النظرة إلى المستقبل.

لأن الجيل الذي نمثله اليوم يفصل بين عهدين: عهد التخلف والتراجع الحضاري، وعهد البناء والنشاط الحضاري.

فبداية بناء نهضتنا هي تلك اللحظة الخاطفة التي تسجل نهاية الظلام في ضميرنا... فهي اللحظة الفارقة بين عهد الفوضى الجامدة، والجمود الفوضوي، وعهد التنظيم والتركيب والتوجيه، وحينما يصل التاريخ إلى هذا المنعطف من دورة الحضارة فإنه يصل إلى المنطقة التي تتصل فيها نهاية عهد ببداية عهد آخر، وتتجاوز فيها ماضي الأمة المظلم مع مستقبلها المشرق ⁽³⁾، وهكذا فإنه عندما نتحدث عن النهضة، نحتاج أن نتصورها من ناحيتين: ⁽³⁾.

الناحية الأولى: وهي تلك المتصلة بالماضي، أي بحصيلة التدهور المجسد في عالم الأشخاص، الأفكار والأشياء.

الناحية الثانية: تلك التي تتصل ببذور المصير وجذور المستقبل.

فهذا التمييز ضروري ولا يعد موضوعه مظهراً من مظاهر الترف العقلي (الفكري) تمارسه طائفة معينة من أفراد المجتمع تعيش في رفاهية، ولكن موضوعه تكيف حالة شعب بأكمله وتقدير مصيره وفق سياسة اجتماعية سليمة ومنظمة، ولا يكون هذا إلا من خلال تصفية عادات وتقاليده النظام الأخلاقي والاجتماعي مما فيه عوامل "قاتلة" أو مميتة وراسب لا فائدة منها، حتى يفتح المجال للعوامل الأخرى الفعالة، لتحريك المجتمع والسير به باتجاه الحضارة وصناعة التاريخ، وإن هذه التصفية لا تأتي إلا بفكر جديد قادر على تغيير الوضع الموروث عن فترة تدهور عاشها مجتمع أصبح يبحث عن وضع جديد هو وضع النهضة.

ونخلص من ذلك إلى ضرورة تجديد الأوضاع بطريقتين: ⁽⁴⁾.

الأولى: سلبية تفصلنا عن رواسب الماضي.

(1) محمد سعيد مولاي. مرجع سابق، ص 303-304

(2) التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص 131

(3) مالك بن نبي. شروط النهضة. مرجع سابق، ص 70.

(4) . وجهة العالم الاسلامي. 31.

استراتيجية البناء الحضاري للعالم واسست التعامل الإنساني في فكر مالك بن نبي

الثانية: إيجابية تصلنا بالحياة الكريمة.

وتجدر الإشارة هنا، أن الحضارة الإسلامية قد قامت بعملية التجديد هذه من الناحية السلبية والإيجابية مرة واحدة، وصدرت فيهما عن القرآن الكريم، الذي نفى الأفكار والعقائد الجاهلية القديمة، ثم قام برسم الفكرة الإسلامية المستقيمة التي تخطط للمستقبل بطريقة إيجابية (الحياة الصالحة الكريمة)، وهذا العمل نفسه ضروريا اليوم للنهضة الإسلامية نحو التجديد الحضاري.

والمقصود بالتجديد الإيجابي هنا هو تجديد محتواه من العناصر الجوهرية التي يراها مالك بن نبي ضرورية تماما للثقافة وهي:

- المبدأ الأخلاقي، الذوق الجمالي، المنطق العملي، الصناعة (الفن التطبيقي).

ولكن هذا التحديد المزدوج للثقافة لا أهمية له إلا إذا زال ذلك الخط الخطير في العالم الإسلامي بين مصطلح "الثقافة" ومصطلح "العلم".

وبناء على ذلك يرى مالك بن نبي أن أي استعارة لمفهوم الثقافة إذا لم يكن مستمدا من الواقع الاجتماعي الذي تمثل تلك الثقافة، فإنه سيفشل وذلك لانفتاده العنصر الضمني المتعلق بالإطار النفسي والاجتماعي للمجتمع الأصلي، ويضرب مثلا على ذلك من واقع العالم الإسلامي الذي يستمد تعريفاته للثقافة من أراء المدرسة الغربية، وينسى أن هذا التعريف والحلول المنبثقة منه لحل مشكلة الثقافة سيكون ناقصا، لانفتاده العنصر الضمني المكمل له في العقل الأوروبي⁽⁴⁶⁾، ومن ثمة فهي لا تحدث عندنا التأثير نفسه الذي تحدثه في أوطانها، ولكن مالك بن نبي لا يرفض الاقتباس من تجارب الآخرين والإفادة من جهودهم ولكن أن نهئى في بلادنا المحيط اللازم لتطبيق ما نراه حلا لمشكلاتنا الاجتماعية.

وبهذا الفهم حسب رأي مالك بن نبي لا يمكن أن نتصور تاريخا بلا ثقافة، لأن المجتمع الذي فقد ثقافته يكون قد فقد تاريخه حتما، وتغذو الثقافة من هذه الزاوية أنها عاملا حضاريا تاريخيا ونظاما تربويا تطبيقيا، وهكذا نجد أن الثقافة تؤثر وتتأثر بما ينتاب الفرد والمجتمع من تغييرات نفسية واجتماعية تعود في الأساس إلى قوة تأثير الفكرة الدينية أو ضعفها، ومن هذا المنطلق نجد أن مالك بن نبي حدد البرنامج التربوي للثقافة الذي يتخذه المجتمع دستوراً لحياته الثقافية، من عناصر أربعة مهمة جدا لجمع شروط الفعالية والنهوض بالمجتمع وبالتالي تجديد حضارته: (1).

- المبدأ الأخلاقي لتكوين الصلات الاجتماعية، التوجيه الجمالي لتكوين الذوق العام، المنطق العملي لتحديد أشكال النشاط العام، التوجيه الفني للملائم لكل متطلبات المجتمع.

أ- التوجيه الأخلاقي: لقد اهتم مالك بن نبي بالأخلاق من الناحية الاجتماعية العملية، والتي تتحدد على وجه الدقة في "قوة التماسك" الضرورية للأفراد في مجتمع يسعى إلى تكوين وحدة تاريخية حضارية، هذه القوة مرتبطة في أصلها بغريزة (الحياة في الجماعة) عند الفرد، ارتباطا يتيح له تكوين القبيلة والعشيرة والمدينة والأمة، والقبائل الموعلة في البداوة تستخدم هذه الغريزة لكي تتجمع، أما المجتمع الذي يتجمع لتكوين حضارة،

(1)نورة خالد السعد.التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي. مرجع سابق، ص134

استراتيجية البناء الحضاري للعالم واسس التعامل الإنساني في فكر مالك بن نبي فإنه يستخدم الغريزة نفسها ولكنه يهذبها ويوظفها بروح خلقي سام⁽¹⁾. وأصل هذه الروح الخلقية حسب مالك بن نبي هو "الأديان" فهي منحة من السماء إلى الأرض تهدف إلى ربط أفراد المجتمع ببعضهم البعض، كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: " وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم "(2).

إن الروح الخلقية للإسلام هي التي جعلت من عناصر متفرقة كالأنصار والمهاجرين أول مجتمع إسلامي، حيث يؤكد مالك بن نبي على أن "قوة التماسك" ضرورية لبناء المجتمع، وإعادة بنائه بالنسبة للمجتمع الإسلامي موجودة بوضوح في الإسلام، ولكن أي إسلام ؟ إنه الإسلام المتحرك في العقول وسلوك أفراد المجتمع، المنبعث في صور الإسلام الاجتماعي، الذي يعيش في إطاره المسلم مع الله سبحانه وتعالى عقلا في عقله وحبا في قلبه وحركة في حياته. وعليه فالمبدأ الأخلاقي يعد ضرورة في إحداث التغيير الثقافي.

ب- التوجيه الجمالي: مما لا شك فيه أن للجمال أهمية اجتماعية كبيرة، إذا لم يكن المصدر الذي تتبع منه الأفكار، وتصدر عنه بواسطة تلك الأفكار أعمال للفرد في المجتمع، ويطبعها بطابعها الخاص من الذوق الجميل أو السماحة المستهجنة، ويظهر الجمال في أبسط معانيه من خلال اللباس الذي يرتديه الإنسان، في الحقيقة التي يحمل فيها ملابسه عند السفر، في المسحة التي تكون عليها الشوارع والبيوت والمقاهي⁽³⁾. كما أن المبدأ الجمالي يشكل أساسا هاما في ثقافة المجتمع "فإذا كان المبدأ الأخلاقي هو يقرر الاتجاه العام للمجتمع بتحديد الدوافع والاتجاهات، فإن ذوق الجمال هو الذي يصوغ صورته، وهنا وجه آخر للفرق بين العلم والثقافة، إذ أن الأول تنتهي عملياته عند إنشاء الأشياء وفهمها، بينما الثانية تستمر في تجميل الأشياء وتحسينها⁽⁴⁾.

فالإطار الحضاري بكل محتوياته متصل بذوق الجمال، بل إن الجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أية حضارة، لذا ينبغي الأخذ بعين الاعتبار بهذا الذوق الجمالي حتى لا يؤدي في النهاية إلى حدوث خلل في توازن الحضارة.

ج- المنطق العملي: يشكل هذا المبدأ أساسا ثالثا هاما تقوم عليه ثقافة المجتمع الذي يشكل فاعلية الفرد والجماعة أو عدم فاعليته، فالمنطق العملي -حسب مالك بن نبي- لا يعني ذلك الشيء الذي دونت أصوله ووضعت قواعده منذ أرسطو، وإنما يعني به كيفية ارتباط العمل بوسائله ومقاصده، وذلك حتى لا نستسهل أو نستصعب شيئا دون مقياس، يستمد معايير من الوسط الاجتماعي وما يشتمل من إمكانيات... أي استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة⁽⁵⁾.

(1) مالك بن نبي. ميلاد مجتمع؛ شبكة العلاقات الاجتماعية. مرجع سابق 45-46.

(2)

Malek bennabi. vocation de l'islam. op cit.p33

(3) نبي. شروط النهضة. مرجع سابق، ص78

(4) 79.

(5) Malek bennabi. vocation de l'islam. op cit.p35

استراتيجية البناء الحضاري للعالم واسست التعامل الإنساني في فكر مالك بن نبي فالمنطق العملي يخص جانب الحركة في المجتمع حيث تتجسد الفعالية في كل أنواع النشاط الإنساني، ذلك أن المنطق العملي بصفته عنصرا مهما من عناصر الثقافة الساعية إلى إحداث التغيير الاجتماعي يرتبط بالفاعلية الاجتماعية للأفراد بصفتهم أعضاء في البناء الاجتماعي.

وفي هذا الصدد يعتبر مالك بن نبي أن الإنسان المسلم لا ينقصه منطق الفكرة، وإنما ينقصه منطق العمل والنشاط، فهو لا يفكر ليعمل، بل ليقول كلاما خال من ذلك الضابط الذي يربط بين عمل معين وهدفه، وبين فكرة وتحقيقها.

د- التوجيه الفني (الصناعة): يشكل هذا المبدأ أساسا رابعا هاما تقوم عليه الثقافة في المجتمع، وبذلك يعتبره مالك بن نبي مشروعا تغييريا حضاريا، فهو يتصل بمختلف النشاطات التي يمارسها الإنسان كالفنون والحرف والعلوم والمهن، بمعنى آخر الصناعة - حسب تعبير ابن خلدون - فالصناعة للفرد في رأي مالك بن نبي هي الوسيلة لكسب عيشه وربما لبناء مجده، كما تعد بالنسبة للمجتمع أداة للمحافظة على كيانه واستمرار نموه.

ولهذا يعتبر التوجيه الفني مختصا بتقديم الأصول النظرية والوسائل المادية لإنجاز سائر الأعمال، ففاعلية المجتمع تعتمد في جانب كبير على عالم الأشياء الذي هو نتيجة عوامل فنية صناعية مختلفة، لأن في ذلك تحقيق للفاعلية التي يحتاج إليها المجتمع الذي يهدف إلى بناء حضارة متوازنة ولها أساس ثقافي قوي.

فالمجتمع الإسلامي يعاني من مشكلة التوجيه، وأن الإمكانيات البسيطة في البلاد الإسلامية لا تسمح لنا بذلك، لذا يجب إنشاء مجالس حقيقية للتوجيه الفني (الصناعة) لتحل هذه المشكلة نظريا وعمليا وذلك تبعا للحاجات والمتطلبات.

02- توجيه العمل: يعد توجيه العمل عنصرا أساسيا من العناصر الثلاثة (توجيه الثقافة، توجيه العمل، توجيه رأس المال)، والتي بتكاملها يتحقق حل مشكلة الإنسان، وحسب مالك بن نبي فإنه من الغرابة أن يتم الحديث عن مستوى النمو والتطور الاجتماعي (توجيه العمل) الذي يكاد يكون غير موجود في البلاد الإسلامية حاليا، لأن الوجه المألوف لكل ما هو متعطل أصبح متعطل وغير موجود في واقع المجتمع، حيث أصبح يشكل نقطة استفهام مقلقة بالنسبة لهم.

فالعمل وحده هو المصدر الذي يحدد مصير الأشياء في الإطار الاجتماعي بالرغم من أنه ليس عنصرا أساسيا لإنتاج الحضارة كالإنسان والزمن والتراب، إلا أنه يتولد من هذه العناصر الثلاثة لا من الخطب الوعظية وغيرها، إذ أنه عندما كان المسلمون الأوائل يشيدون مسجدهم الأول بالمدينة، كان هذا أول ساحة ومكان للعمل انطلقت فيه الحضارة الإسلامية، ومن ثمة يرى مالك بن نبي أن المجتمع الذي هو في حالة نشوء يتوجب عليه النظر إلى العمل من الناحية التربوية وليس من الناحية الكسبية.

"إن توجيه العمل في مرحلة التكوين الاجتماعي بعامة يعني سير الجهود الجماعية في اتجاه واحد، بما في ذلك جهد السائل والراعي وصاحب الحرفة والتاجر والطالب والعالم والمرأة والمتقن والفلاح، لكي يضع

استراتيجية البناء الحضاري للعالم واسست التعامل الإنساني في فكر مالك بن نبي كل منهم في كل يوم لبنة جديدة في البناء " (1). والواقع أنه يجب أن يكون التوجيه المنهجي للعمل شرطاً عاماً أولاً ثم وسيلة خاصة من أجل الكسب بعد ذلك.

03- توجيه رأس المال: يرى مالك بن نبي أن رأس المال آلة اجتماعية تنهض بالتقدم المادي، لا آلة سياسية في يد رأسمالية، كما عالجها ماركس ومدرسته (2). لذا ينبغي في هذا الصدد التمييز بين مفهومي "الثروة" و "رأس المال" بالمعنى الاجتماعي.

فالثروة يمكن فهمها من جانبين: من خلال المركز الاجتماعي لصاحبها (فلاح صاحب ماشية، صاحب ضيعة) أو من خلال استعمال صاحبها لها (بنفسه) في إطار حرفته المحلية التي تسمح له بتلبية حاجاته فقط، وبهذا فهي في كلتا الحالتين تظهر الثروة بطابع مكاسب الفرد غير المتحركة وغير الداخلة في الدورة الاقتصادية.

أما رأس المال فهو في جوهره " المال المتحرك " الذي يتسع مجاله الاجتماعي بمقتضى حركته ونموه في محيطه أكبر من محيط الفرد وأقصى من المقدار الذي تحدده حاجاته الخاصة (3). فالثروة تسمى باسم صاحبها، أما رأس المال فإن اسمه يفصل عن صاحبه، ويصبح قوة مالية مجردة كما هو معلوم عند الاقتصاديين.

ولهذا يرى مالك بن نبي ضرورة تنشيط المال وتحريكه، حتى يتسع أكثر من حيث توظيفه ليتجاوز نطاق استعمال الفرد الخاص ومحيطه إلى نطاق آخر أوسع، وذلك بتحويل معناها الاجتماعي من أموال مكدسة ومعطلة إلى أموال متحركة، تنشيط الفكر والعمل والحياة في المجتمع متخذة شكل شبكة من العلاقات الاقتصادية بين مختلف البلدان، وهذا ما يطلق عليه "رأس المال"، ولا شك أن انتقال المال من بلد إلى آخر ينتج عنه حركة ونشاطا يساهم في توظيف الأيدي والعقول.

وعليه فإن توجيه رأس المال الذي لا زال في طور التكوين في بلدان العالم الإسلامي لا يتصل أولاً بالكم وإنما بالكيف، ذلك أن الأمر الأساسي في هذه المرحلة هو أن تكون كل قطعة مالية متحركة متنقلة تخلق معها العمل والنشاط للإنسان، أما في ما يخص الكم فيأتي في الدرجة الثانية وذلك من خلال التوسع والشمول والتطور الحضاري.

وهكذا فإنه بهذا التوجيه الذي يسير مترابطاً مع توجيه الثقافة وتوجيه العمل قد استوفى الإنسان الشروط الأساسية والضرورية لتجديد حضارته بما يتطابق مع إطاره الخاص، كونه مخلوقاً كرمه الله عز وجل ثم أمره بعبادته التي من أجلها كان الخلق، وإعمار الأرض كان جزءاً من المسؤوليات الموجهة للإنسان كي يؤدي دوره التغييري في المجتمع وبناء مجتمع متحضر متطور وفق معادلة الحضارة: الإنسان + تراب + وقت = حضارة.

(1) 81 . .

(2) . "

(3)

استراتيجية البناء الحضاري للعالم واسست التعامل الإنساني في فكر مالك بن نبي وعليه فهذه العناصر الثلاثة هي القاسم المشترك للمواجهة الحقيقية لعملية إعادة البناء الاجتماعي في أي مجتمع يريد أن يبدأ حضارته من جديد.

خامسا: أثر الفكرة الدينية في أحداث التغيير الحضاري

الدين أو الفكرة الدينية عند مالك بن نبي هي أساس كل مشروع تغيير، وهو يهتم به- في الغالب- من حيث وظيفته الاجتماعية في صياغة الشخصية الحضارية وبناء العلاقات الاجتماعية، فالدين القادر على أحداث التغيير هو الدين السماوي وإن كان التغيير بواسطته يحدث أحيانا بطريقة مباشرة كما في الحضارة الإسلامية أو الحضارة الغربية وأحيانا بطريقة غير مباشرة⁽¹⁾. "وسواء كنا بصدد المجتمع الإسلامي أو المجتمع المسيحي أم كنا بصدد المجتمعات التي تحجرت اليوم أو اختفت تماما من الوجود نستطيع أن نقرر أن الفكرة التي غرست بذورها في التاريخ هي فكرة دينية... ومعنى هذا أيضا أن شبكة العلاقات- الاجتماعية- بكل ما تحتويه من خيوط وأطراف والتي يتسنى للمجتمع بفضلها أن يؤدي عمله التاريخي⁽²⁾. فالإنسان كلما أوغل في الماضي التاريخي سواء في الاحقاب الزاهرة لحضارته أو في المراحل البدائية لتطوره الاجتماعي فإنه سيجد سطورا من الفكرة الدينية⁽³⁾. مما يدل على الأثر الفاعل للدين وأنه القاعدة الرئيسية في كل التغييرات الإنسانية الكبرى وما يتبع ذلك من معطيات نفسية واجتماعية تحقق الغاية النهائية لحركة المجتمع حيث يتحقق في النهاية في شكل حضارة.

لقد بين مالك بن نبي الأثر الذي تحدثه الفكرة الدينية في البناء الاجتماعي للمجتمع البدائي وكيف يتحول إلى مجتمع تاريخي، فدخل الدين إلى ذلك المجتمع يؤثر في البدء في عوالمه الثلاثة، فيشكل شبكة العلاقات الاجتماعية بين عوالم الأشخاص والأفكار والأشياء ويبدأ بذلك مرحلة التغيير الثقافي والتي تمس الأفراد فتغير من سلوكهم بما يتفق ومبادئ هذا الدين وتغير من صفاتهم البدائية التي تربطهم بالنوع إلى نزاعات اجتماعية تربط الفرد منهم بالمجتمع.

ويستدل مالك بن نبي على ذلك بالمجتمع العربي الذي تغير من مجتمع بدائي إلى مجتمع تاريخي بسبب الدين الإسلامي، إذ أن نزول القرآن في تلك اللحظة كان مؤذنا بميلاد الحضارة الإسلامية وظهور عالم جديد متلازم مع نزول الوحي في غار حراء، ذلك أن الدين الإسلامي أوجد الشبكة الروحية التي تربط نفس المجتمع بالإيمان بالله وثمرتها الناتجة عنها شبكة العلاقات الاجتماعية بين عوالم الأشخاص والأفكار والأشياء.

فالحضارة عند مالك بن نبي لا تتبعث إلا عن طريق العقيدة الدينية، حيث أنها لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي ينزل من السماء، ليس للناس الطريق والمنهاج، لأن الشرط النفسي ضروري للتغيير الاجتماعي، لذا فإنه لا بد أن يحدث تحول نفسي في داخل الفرد، والدين هو الوحيد القادر على تحول

79.

(1)

(2) سورة الانفال: الآية 63

(3)

Malek bennabi.les conditionsde la renaissance (problème d'une civilisation) op cit pp42-43.

استراتيجية البناء الحضاري للعالم واسست التعامل الإنساني في فكر مالك بن نبي الإنسان النفسي، وبذلك يؤثر الدين تأثيرا هاما في التغيير والتفاعل الاجتماعي، فالتغيير يبدأ من داخل الإنسان وهذا قانون إنساني، وسنة من السنن التي تحكم البشرية، قال الله تعالى "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" (1). وقد أدى الدين إلى تغير العلاقات الاجتماعية في الجاهلية والإسلام، بل حطم الروابط الاجتماعية الفاسدة في الجاهلية التي كانت قائمة على التمييز العنصري والطبقية وجعل الناس سواسية كأسنان المشط وجعل العبودية لله وحده.

إن فالحضارة الإسلامية قابلة للحركة والتجديد، إذا تم إعادة العقيدة للنفوس وتحركت بها، كما كانت في أيام الدولة الإسلامية الأولى حركة تضبط الغريزة وتحمل العقيدة الإسلامية رسالة في الحياة، عندها تكون الحضارة قد عادت إلى الحركة والتجديد مرة أخرى.

سادسا: أهمية الأفكار في عملية التواصل والتجديد الحضاري للعالم الإسلامي:

إن التقدم الثقافي من الوجهة التربوية هو في جوهره تقدم وتطور في الأفكار، ولا يكفي أبدا أن تنتج أفكارا بل يجب أن نوجهها طبقا لمهمتها الاجتماعية المتحدة التي نريد تحقيقها، فعملية تنظيم الأفكار في المجتمع لها أهمية كبيرة وأساسية فهي إما أن تؤثر بوصفها عوامل نهوض بالحياة الاجتماعية وتقدمها الحضاري، وإما أن تؤثر بوصفها عوامل ممرضة تؤدي إلى الركود والفضى والتخلف، مما تجعل النمو الاجتماعي صعبا و مستحيلا.

إن تنظيم المجتمع وحياته وحركته، بل فوضاه وخموده وركوده، كل هذه الأمور ذات ذات علاقة وظيفية بنظام الأفكار المنتشرة في ذلك المجتمع، فإذا ما تغير هذا النظام بطريقة أو بأخرى فإن جميع الخصائص الاجتماعية الأخرى تتعدل في الاتجاه نفسه، إن الأفكار تكون في مجموعها جزءا هاما من أدوات التطور في مجتمع معين، كما أن مختلف مراحل تطوره هي في الحقيقة أشكال متنوعة لحركة تطوره الفكري؛ فإذا ما كانت إحدى هذه المراحل تنطبق على ما يسمى بالنهضة فإن معنى هذا أن المجتمع في هذه المرحلة يتمتع بنظام رائع من الأفكار، وإن هذا النظام يتيح لكل مشكلة من مشاكله الحيوية حلا مناسبا (2).

وبذلك يرى مالك بن نبي أن تطور وتقدم بعض المجتمعات العالم في شتى مجالات الحياة اليومية ما هو إلا نتيجة لاهتمامهم واعلائهم "لقيمة الفكرة" ومن ثمة استطاعوا بناء عالم أشياءهم بأنفسهم في كل الجوانب الصناعية، مستوحين ذلك من عالم الأفكار، لأن تطور وتقدم المجتمعات لا يقاس بكمية ما تملك من أشياء، وإنما بما تملك من أفكار فعالة تساهم في خدمتها وتطويرها والتأثير فيها ايجابيا.

ويستشهد مالك بن نبي ذلك بالمجتمع الألماني الذي فقد معظم امكاناته المادية بعد الحرب العالمية الثانية، لكن استطاع أن يستعيد كل ما فقده، وتطور أكثر مما كان عليه بفضل تمسكه بعالم أفكاره، والشيء نفسه بالنسبة للمجتمع الألماني الذي استطاع بعالم أفكاره أن يبني مجتمعا متقدما ومتطورا، وليس تكديس عناصر مجتمع، حيث كان ذلك خلال نصف قرن تقريبا (1868-1905).

(1) 146

(2) 85

استراتيجية البناء الحضاري للعالم واسست التعامل الإنساني في فكر مالك بن نبي
فالعالم الإسلامي قد دخل في مرحلة لا يمكن أن تحل فيها أغلبية مشكلاته، إلا على أساس نظم
الأفكار، وبهذا يتحتم على البلاد الإسلامية والعربية أن تعطي أكبر قدر من اهتمامها لمشكلة أفكارها،
وخاصة تلك التي لا تملك أدوات القوة المادية.

فالإنسان المسلم الذي يعيش في بلد متخلف يلاحظ دون شك تخلفه بالنسبة للفرد الذي يعيش في بلد
متقدم، وهو بذلك يرى شيئاً فشيئاً أن الذي يفصل ما بين الشعوب، لا يكمن في المسافات الجغرافية وإنما هي
مسافات ذات طبيعة فكرية، "والمسلم بسبب عقدة تخلفه يرد هذه المسافة إلى نطاق (الأشياء) أو هو بتعبير
آخر يرى أن تخلفه متمثل في نقص ما لديه من مدافع وطائرات ومصارف، وبذلك يفقد مركب النقص لديه
فعاليته الاجتماعية، إذ ينتهي من الوجهة النفسية إلى التشاؤم، كما ينتهي من الوجهة الاجتماعية إلى ما
أطلقنا عليه التكديس، فلكي يصبح مركب النقص لديه فعالاً مؤثراً ينبغي أن يرد المسلم تخلفه إلى مستوى
الأفكار لا إلى مستوى الأشياء، فإن تطور العالم الحديث دائماً يتركز اعتماده على المقاييس الفكرية".⁽¹⁾

فأساس الأزمة الحضارية في مجتمعات العالم الإسلامي لا يكمن إذاً حسب رأي مالك بن نبي في
طبيعة مشكلاتها الحضارية بقدر ما هو يكمن في الجانب الفكري للإنسان المسلم أو بالأحرى في موقفه من
هذه المشكلات⁽²⁾.

وعليه فعالم الأفكار بالنسبة للإنسان المسلم هو من أسباب أزمة العالم الإسلامي ويظهر ذلك جلياً في
جميع المجالات الحياتية (الاقتصادية الاجتماعية السياسية الثقافية ...) متداخلة فيما بينها بشكل كبير،
وبصعب الفصل بينها عملياً، نظراً لتعدد طبيعة موضوع الحضارة ذاته الذي أساسه الإنسان ككائن اقتصادي
 واجتماعي وسياسي وثقافي صانع للتاريخ.

(1) مالك بن نبي. شروط النهضة. مرجع سابق، ص 107

(2) 110

خاتمة:

يتضح من مجمل التقديمات المعرفية والمنهجية في التجديد الحضاري للعالم الإسلامي عند "مالك بن نبي" أنها جاءت ذات طابع علمي واقعي، وجاء الإصلاح بطابع اجتماعي تاريخي يقوم على التغيير في الفرد والمجتمع، وعلى القضاء على أسباب التخلف والانحطاط والأخذ بأسباب الحضارة وشروطها كما يقوم على التوجيه الديني والأخلاقي والعمل مع الاستفادة من خبرات وتجارب الآخرين العلمية والحضارية.

فظاهرة التخلف ليست طبيعية في الإنسان، بل تعود إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، وتستفحل عندما تغيب الشروط والأدوات اللازمة للنمو الفكري والأخلاقي والاجتماعي، هذا النمو هو السبيل إلى التضر والازدهار، تقابله مجموعة من المشاكل والوضعيات والظروف الفاسدة المنهارة في حياة الفرد والجماعة في جميع جوانبها الفكرية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، هذه المشاكل والظروف والوضعيات ترتبط بظاهرة التخلف والانحطاط، وتقوم الحضارة باعتبارها إطاراً يضمن لكل فرد داخل المجتمع مطالبه وحاجاته في كل طور من أطوار وجوده، بإعطائه الأدوات واللوازم الضرورية للمجتمع النامي المالك لقدرات فكرية واجتماعية واقتصادية إرادة استعمال سائر القدرات في حل المشاكل التي تواجه المجتمع المتخلف،

وبذلك يعتبر التخلف والانحطاط والضعف اليوم لاسيما في العديد من مجتمعات العالم الإسلامي التي تعاني أزمة حركة ونمو على مستوى مختلف الخطوط التنموية (الاجتماعية، الاقتصادية السياسية، الثقافية...) منوطة من ناحية واقعية، بتوجيهه في نواح ثلاث (توجيه الثقافة، توجيه العمل، توجيه راس المال) وهذا في إطار تخطيط سليم وفعال قادر على تغيير الوضع الموروث عن فترة تدهور عاشها مجتمع ممثل مجتمع العالم الإسلامي أصبح اليوم يبحث عن وضع جديد هو وضع النهضة الشاملة والتجديد الحضاري.